**معاني إحصاء أسماء الله الحسنى**

***بحث فى : توحيد الصفات***

 *إعداد / شيماء عبد المجيد زهران*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : معاني إحصاء أسماء الله الحسنى**

**الكلمات الافتتاحيه : الاحصاء، اسماء، تفاصيل**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة معاني إحصاء أسماء الله الحسنى**

* ***.عنوان المقالة***

اختلف العلماء في معنى الإحصاء في قول النبي  في الحديث السابق: ((مَن أحصاها)).

وقبل البدء في ذكر أقوالهم، وبيان تفاصيل اختلافهم، لا بد من الإشارة إلى معنى الإحصاء في اللغة، ومن ثَمَّ نأتي إلى معناها الشرعي؛ لأنه منوط به.

الإحصاء لغةً:

مأخوذ من الفعل الثلاثي "حصى"، "الحاء والصاد والحرف المعتل ثلاثة أصول: الأول: المنع، والثاني: العدُّ والإطاقة، والثالث: شيء من أجزاء الأرض، وبالرجوع إلى معاني الأصول الثلاثة، فإن الأصل المتعلق بما نحن بصدده هو الثاني: تقول: أحصيت الشيء إذا عددته وأطقتَه، ومنه قوله تعالى: {ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} [المزمل: 20].

فالإحصاء: التحصيل بالعدد والإحاطة، مأخوذ من حَصَى الأرض الذي هو الأصل الثالث من أصول الكلمة؛ لأنه العُمدة في العدّ عند القدامى. والأصل الثالث مما له علاقة بمعنى الإحصاء لغةً: الحصاة، وهو العقل، يقال: ما له من حصاة، أي: ما له من عقل، والرابط بينهما القوة والشدة؛ فبالعقل تماسك الرجل وقوته، ومنه قول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإنّ لِسَانَ المَرءِ مَا لم تَكن لَه | \* | حَصَاةٌ عَلى عَوراتِهِ لَدَلِيلُ |

وأشارَ بَعضُ أهل العلم إلى أن الإحصاء أخص من العدَّ؛ لأنه العدُّ على سبيل الاستقصاء والإحاطة.

فتخلص من هذا البيان: أنّ الإحْصَاءَ لُغة: إحاطَةُ العِلْمِ باستقصاء العدد، ويكونُ ذَلكَ بإحاطته وإطاقته وعقله.

الإحصاء شرعًا:

أما المراد بالإحصاء الوارد في حديث الأسماء؛ فقد تعددت أقوال العلماء في تحديده؛ وهي كثيرة يمكن الإشارة إلى أبرزها:

الأول: المراد بالإحصاء في الحديث هو: عدها حتى تستوفى حفظًا، ومن ثَمَّ الدعاء بها.

واختار هذا القول الخطابي في (شأن الدعاء)، والقرطبي في (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، والنووي في شرحه على (صحيح مسلم)، و(الأذكار)، والعيني في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)، والطيبي في (شرح مشكاة المصابيح)، والسيوطي في (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج)، وعزاه النووي والعيني إلى الأكثرين والمحققين، وذكرَا أنه قول الإمام البخاري. واستدلّ أصحابُ هذا القول برواية البخاري، وهي قوله : ((مَن حفِظها دخل الجنة)).

الثاني: المُراد بالإحصاء: الإطاقة، ومنه قوله تعالى: {ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ}. وقوله : ((استقيموا ولن تحصوا)). أخرجه الإمام أحمد في (المسند) وقال محقق (المسند): حديث صحيح. وأخرجه ابن ماجه في (سننه)، في كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء، وقال الألباني: صحيح.

قال ابن الأثير الجزري: ((ولن تحصوا)): لن تطيقوا الاستقامة، من قوله تعالى: {ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ}، أي: لن تطيقوا عده وضبطه، والمعنى: من أطاق القيام بحق هذه الأسماء، والعلم بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها، فليلزِم نفسه بواجبها؛ فإذا قال: الرزاق وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء. وهذا القول فرعٌ وقريب من القول الثالث الآتي.

الثالث: المراد الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصاة، أي: ذو عقل ومعرفة، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المعنى قريبًا عند تحديد المفهوم اللغوي للإحصاء.

ومِمّا يَدُلّ على هذا المعنى الحديث الصحيح: أنّ النّبي  كان يقول في سجوده: ((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك)). ووجه الشاهد منه قوله : ((لا أحصي ثناء عليك)).

قال شيخ الإسلام: وهو سبحانه يحبُّ عباده الذين يحبونه، والمحبوبُ لغيره أولى أن يكون محبوبًا؛ فإذا كُنّا إذا أحْبَبنا شيئًا لله كان الله هو المحبوب في الحقيقة، وحبنا لذلك بطريق التبع، وكنا نحب من يحب الله؛ لأنه يحب الله؛ فالله تعالى يحب الذي يحبونه فهو المُستَحِقُّ أن يكون هو المحبوب المألوه المعبود، وأن يكون غاية كل حب.

كيف وهو سبحانه الذي يحمد المعبود ويثني على نفسه، ويُحِبُّ الحمد من خلقه، كما قال النبي  في الحديث الصحيح: ((لا أحد أحَبّ إليه المدح من الله))، وقال له الأسود بن سريع: ((يا رسول الله، إني حمدت ربي بمحامد، فقال: إن ربك يحب الحمد))، وفي الحديث الصحيح: ((أن النبي  كان يقول في سجوده: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك)). وقد روي أنه كان يقول ذلك في آخر الوتر، فهو المثني على نفسه، وهو كما أثنَى على نفسه، إذ أفضل خلقه لا يحصي ثناء عليه، والثناء: تكرير المحامد وتثنيتها... فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجده كما يمجد نفسه.

وقال في موضع آخر -رحمه الله- قوله: {ﭥ ﭦ ﭧ} [الأنعام: 103] الإدراك عند السلف والأكثرين هو الإحاطة، وقال طائفة: هو الرؤية، وهو ضعيف؛ لأنّ نفي الرؤية عنه لا مدحَ فيه؛ فإن العدم لا يُرى، وكل وصف يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمرًا ثبوتيًّا فلا يكون فيه مدح، إذ هو عدم محض، بخلاف ما إذا قيل: لا يُحاط به؛ فإنه يدل على عظمة الرب  وإنّ العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤيةً. كما أنهم مع معرفته لا يحيطون به علمًا، وكما أنهم مع مدحه والثناء عليه لا يحيطون ثناءً عليه؛ بل هو كما أثنَى على نفسه المقدسة. ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم: ((لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)).

المراد بالإحصاء في قوله : ((لا أحصي ثناء عليك))، هو الإحاطة والحصر، ولمّا كان هذا مُتعذرًا في حق النبي  فآحاد الناس من أمته مهما كانت منزلته في العلم والتقوى بعده  متعذر في حقه من باب أولى، ولا شك أنّ الإحَاطة بما له  من الأسماء الحسنى غير ممكن للبشر -كما سبق تقريره- ولذلك رتب الله  هذه الفضيلة الواردة في الحديث على العدد المعين، وهو التسعة والتسعون اسمًا.

((مَن أحصاها)) أي: أحاط بها معرفة وعقل معانيها حصلت له هذه الفضيلة، وهي استحقاق دخول الجنة.

الرابع: أنّ المُراد بالحِفْظِ حفظ القرآن؛ لكونه مستوفيًا لها، فمن تلاه ودعا بما فيه من الأسماء حصل المقصود، ونسب الحافظ ابن حجر والعيني هذا القول لابن الجوزي وضعفاه، وكذا ضعفه الإمام النووي.

وهناك أقوال أخرى ذكرها شُرَّاح الحديث لا يمكن اعتبارها أقوالًا مستقلةً، وإنما هي كالضوابط للقول الأول خاصة، كمن قال: إن المراد مِن "مَن عرفها"؛ لأنّ العَارِفَ بها لا يكون إلا مؤمنًا، والمؤمن يَدخل الجنة، أو قال: عدّها معتقدًا؛ لأن الدهري لا يعترف بالخالق، والفلسفي لا يعترف بالقادر، ومن قال: ((أحصاها)) يريد بها وجه الله وإعظامه، أو قال: معنى ((أحصاها)): عمل بها، فجميع هذه الأقوال لا يمكن عدها أقوالًا مستقلةً؛ بل هي داخلة فيما سبقها من أقوال، خاصة الأول منها.

أما القول الخامس: وهو الجامع لمعاني الإحصاء كلها: فما ذكره الإمام المحقق تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: بيان مراتب إحصاء أسمائه؛ التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة؛ ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فَهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الأعراف: 180] وهذا القول الذي اختاره الإمام ابن القيم وغيره، ليس ببعيد عن اختيار شيخ الإسلام؛ فإن المتأمل في هذا القول يجِدُ أنّه تفصيل للقول الثالث، وذلك أن الإحاطة والتعقل لمعاني الأسماء هو المقصود، وذلك من أجل تحقيق الغاية من هذا الإحصاء، وثمرته المرجوة منه، وهي التعبد لله  بهذه الأسماء، ويشمل ذلك دعاء الله  بها، والعمل بمقتضاها.

قال الحافظ الحكمي في (معارج القبول): واختلف العلماء في معنى قوله : ((من أحصاها)) فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وأنّ إحدى الروايتين مفسرة للأخرى، وقال الخطابي: يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها؛ فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى: مَن أطاق القيام بهذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها؛ فيلزِم نفسه بموجبها؛ فإذا قال: الرّزاق وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل: ((أحصاها)) عمِل بها؛ فإذا قال: الحكيم سلم لجميع أوامره وأقداره، وأنها جميعها على مقتضى الحكمة. وإذا قال: القدوس اسْتَحْضَر كَونَه مُقَدّسًا منزهًا عن جميع النقائض، واختاره أبو الوفاء ابن عَقيل. وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم؛ فيُمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، يعني: فيما يقوم به.

وما كان يختصُّ به نفسه كالجبار والعظيم؛ فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرّغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة. انتهى.

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها، كما أنّ القُرآن لا ينفعُ حفظ ألفاظه مَن لا يعمل به، بَل جاء في المُرّاق من الدين أنهم يقرءون القرآنَ لا يُجَاوِزُ حناجرهم.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- بعد كلام طويل على أولية الله تعالى، وما في ذلك الشهود من الغنى التام، قال: وليس هذا مختصًّا بأوليته تعالى فقط، بل جميعُ ما يبدو للقلوب من صفات الرّب سُبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه، من معرفتها وقيامه بعبوديتها، فمن شهد مشهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته لعباده، واستوائه على عرشه؛ كما أخبر بها أعرفُ الخلق وأعْلَمُهم به الصادِقُ المَصْدُوق، وتَعَبّد بمُقْتَضَى هَذه الصِّفة بحيثُ يصير لقلبه صمد يخرج إليه مناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه، وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز.

فيشعر بأن كلِمه وعلمه صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه؛ فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه، ويفضحه هناك ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم، كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، وكشف البلاء وإرساله، وتقلب الدول، ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه.

فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء: {ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ} [السجدة: 5] فمَن أعطى هذا المشهد حقه معرفةً وعبوديةً؛ استغنى به، وكَذلك من شَهِدَ مَشْهَد العِلْم المُحيطِ الذِي لَا يَعْزُب عَنه مِثْقَالُ ذَرّة في الأرض ولا في السموات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط بذلك علمًا تفصيليًّا، ثم تَعَبّد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته، وجميع أحْواله وعَزماته وجوارحه؛ علم أن حركاتِه الظاهرة والباطنة، وخواطره وإرادته، وجميعَ أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية، بادية لا يخفَى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه بأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وسواء عنده مَن أسر القول ومَن جهر به، لا يشغله جَهْر من جهر عن سمعه صوت من أسر، ولا يشغله سمع من سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها، واختلافها واجتماعها؛ فهي عنده كلها كصوت الواحد، كما أنّ خَلق الخَلْق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير -جل جلاله- الذي يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، ومُخّها وعروقها، ولحمها وحركتها، ويرى مَد البعوضة جناحها في ظلمة الليل، وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية؛ بحرس حركاته وسكناته، وتيقن أنها بمرأًى منه، ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء، وقائم على كل نفس بما كسبت، وأنّه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه، وأنه بكامل قيوميته لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخفضُ القِسط ويَرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [البقرة: 255] ولا يضل ولا ينسى.

وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية، وأعلى منه: مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن إلهية ما سواه باطل ومحال، كما أنّ رُبوبية ما سواه كذلك؛ فلا أحدَ سواه يستحقُّ أن يؤلَّه ويُعبد، ويُصلى له ويُسجد، ويستحق نهاية الحُبّ مع نهاية الذُّل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده وله الحكم؛ فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنًى بغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار، وكل تكثر بغيره قِلة وذلة.

فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره؛ فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره؛ فهو الذي انتهت إليه الرغبات، وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر؛ فإن الإله على الحقيقة هو الغني الصمد، الكامل في أسمائه وصفاته، الذي حاجة كل أحد إليه، ولا حاجةَ به إلى أحد، وقيام كل شيء به، وليس قيامه بغيره.

إلى أن قال: فمشهد الألوهية هو مشهد الحُنفاء، وهو مشهد جامع للأسماء والصفات، وحَظُّ العِبَاد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى، هو اسم الله -جل جلاله- فإن هذا الاسم هو الجامع؛ ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال: الرحمن، الرحيم، العزيز، الغفار، القهار؛ من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ} [الأعراف: 180].

فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها، وكل مشهد سواه؛ فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية، وقام بحقه من التّعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم، والقيام بوظائف العبودية؛ فقد تَمّ له غِناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد، ولسان مثل هذا يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| غنيت بلا مالٍ عن الناس كلهم | \* | وإنّ الغِنى العالي عن الشيء لا به |

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**